cilt / volume: 52 • sayı / issue: 2 • kış / winter 2022
e-ISSN: 2149-0015

Araştırma Makelesi / Research Article

Kur'an Ayetleri ve Tarihî Nakiller Bağlamında Hz. Yahya'nın Akıbeti

Abdulsalam YOUSSEF

Doç. Dr., Mardin Artuklu Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Tefsir Anabilim Dalı, Mardin, Türkiye.

drabdusselam99@gmail.com *(Sorumlu Yazar/Corresponding Author)*

Maşallah TURAN

Doç. Dr., Mardin Artuklu Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Tefsir Anabilim Dalı, Mardin, Türkiye.

masallahturan25@gmail.com

Makale Bilgileri

Makale Geçmişi

Geliş: 11.10.2022
Kabul: 08.12.2022
Yayın: 31.12.2022

Anahtar Kelimeler:
Rivayet,
Rey,
Katl,
Mevt,
Yahya'nın Akıbeti.

Öz

Tefsir, âlimlerimizin üzerinde önemle durdukları, belirli unsurlara ve araçlara gereksinim duyan bir ilimdir. Tefsirle ilgili bir veri, bize sahih bir şekilde ulaştığında ki -buna rivayet tefsiri denir-, onu almamız konusunda görüş birliği mevcuttur. Bu tarz bir tefsir, en güzel tefsir yollarından biri olarak itibar görür. Şayet bir konu hakkında sağlam bir rivayete sahip değilsek, o zaman içtihat veya akıl yürütme yoluna başvururuz. Bunun kabul gören en temel unsuru ise tüm bölümleri, kolları, kaideleri ve ilkeleri ile dildir. Biz de dilin imkânları sayesinde ayette kastedilen anlamı açığa çıkarmaya çalışırız. Ancak bu noktada son derece ilmî ve reel bir sorunla karşı karşıyayız. Şayet tarihî rivayetler ile Kur'an ayetleri arasında bir çelişki buluyorsak, acaba böyle bir durumda hangisini esas almalıyız? Aradaki çelişkiyi nasıl gidermeliyiz ve neye göre bir tercihte bulunmalıyız? Çalışmamız, bu tarz bir problemi, Yahya Peygamberin akıbeti bağlamında ele almaktadır. Zira Kur'an ayetleri Hz. Yahya'nın akıbetiyle ilgili "ölüm" ifadesini kullanırken, rivayetler onun acımasızca "katledildiği"nden bahsetmektedir. Rivayetlere göre o normal bir şekilde eceliyle ölmemiştir. İşte bu makale, Yahya Peygamberle ilgisi bulunan bütün ayetleri bir arada sunmak suretiyle konuyu ele almaktadır. Konu hakkındaki bütün ayetler, gerek lafzıyla gerekse bağlamıyla Hz. Yahya'nın normal bir şekilde eceliyle ölmesinden bahsetmektedir. Ayrıca onun hayat hikâyesiyle, teyzesinin oğlu olan ve öldürülmediği Kur'an'da net bir şekilde açıklanan Hz. İsa'nın hayat hikâyesi arasında enteresan benzerlikler de mevcuttur. Çalışmada betimleme, tahlil, tümevarım ve eleştiri yöntemleri kullanılacaktır.

The End Of Prophet Yahya In The Context Of The Verses Of The Qur'an And Historical Transmissions

Article Info

Article History

Received: 11.10.2022
Accepted: 08.12.2022
Published:31.12.2022

Keywords:
Narration,
Reasoning,
Murder,
Death,
Yahya's End.

Abstract

Tafsir is a science that needs certain elements and tools mentioned by our scholars. When the tafsir reaches us in a sound way, -which is called a narration commentary-, there is a consensus that we should take it. This type of tafsir is regarded as one of the most beautiful ways of tafsir. If we do not have a solid narrative about a subject, then we resort to ijtihad or reasoning. The accepted element of this is the language with all its sections, branches, rules and principles. In this way, we try to reveal the meaning of the verse. However, at this point, we are faced with an extremely scientific and real problem. If we find a contradiction between historical narrations and Qur'anic verses, which one should we take as a basis in such a case? How will we eliminate the contradiction and how will we make a choice? Our study deals with such a problem in the context of the end of the Prophet Yahya. Because while the verses of the Qur'an use the expression "death" regarding his end, the narrations mention that he was "slaughtered" ruthlessly. According to rumors, he did not die of natural causes in a normal way. This article deals with the subject by presenting all the verses that mention the Prophet Yahya together. All the verses on the subject, both literally and in context, refer to the death of Prophet Yahya in a normal way. In addition, there are interesting similarities between his life story and the life story of Prophet Jesus, who was the son of his aunt and was not killed, which is clearly explained in the Qur'an. Methods of description, analysis, induction and criticism will be used in the study.

نهاية النبي يحيى بين دلالة القرآن والروايات التاريخية

معلومات المادة

تاريخ المادة

الاستلام: 11.10.2022

القبول: 08.12.2022

النشر: 31.12.2022

الكلمات المفتاحية

المأثور،

الرأي،

الموت،

القتل،

نهاية يحيى.

الملخص

التفسير علم يحتاج إلى عناصر وأدوات معينة ذكرها علماؤنا، ومما هو محل إجماع أن التفسير إذا وصلنا عن طريق صحيح، وهو المسمى بالمأثور، فإننا نأخذ به، ويُعدّ عندنا من أحسن طرق التفسير. وإن لم نقف على التفسير المأثور الصحيح، فإننا نلجأ إلى الاجتهاد في ذلك، أو ما يسمى بالرأي، وأداته المعروفة هي اللغة بكل أقسامها وفروعها، بقوانينها وسننها، ونحاول استجلاء المقصود من الآية. لكننا نقف أمام إشكالية علمية حقيقية إذا وجدنا تعارضا بين المأثور من الروايات وبين دلالة اللفظ القرآني، بأيهما نأخذ، وكيف نعالج هذا التعارض ومن ثمَّ كيف نرجح؟ هذا ما يتناوله البحث من خلال نهاية نبي الله يحيى عليه السلام؛ فالقرآن الكريم يذكر في حقه الموت، والروايات تقول إنه قُتل قتلاً، وليس موتا طبيعيا. يحاول البحث أن يعالج هذا الموضوع من خلال جمع الآيات التي تتحدث عن يحيى عليه السلام، والتي تؤكد بمجموعها أنه مات موتا طبيعيا، من خلال دلالة اللفظ وسياق تلك الآيات، فضلا عن التشابه العجيب بين قصته وقصة ابن خالته عيسى عليه السلام، الذي لم يُقتل، وذلك من خلال اتباع منهجٍ وصفي تحليلي استقرائي نقدي.

Atıf/Citation: Youssef, Abdulsalam-Turan, Maşallah. “Kur’an Ayetleri ve Tarihî Nakiller Bağlamında Hz. Yahya’nın Akıbeti”. *akif* 52/2 (2022), 129-141.

DOI: https://dx.doi.org/10.51121/akif.2022.26

“This article is licensed under a ***Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License*** (CC BY-NC 4.0)”

مقدمة

من المتفق عليه بين علمائنا أن التفسير المأثور من أحسن الطرق للوصول إلى مراد الله سبحانه، والمقصود هنا تفسير القرآن بالقرآن وبالروايات الصحيحة، المرفوعة منها والموقوفة، وكذلك المقطوعة-، فإن لم نجد عدنا إلى لغة القرآن من خلال قواعدها وسننها، مع مراعاة بقية الأدوات والآليات في سبيل الوصول إلى معنى الآية والتي تندرج تحت عنوان التفسير بالرأي، مع مراعاة بقية علوم القرآن. وقد تتفق الروايات المأثورة الصحيحة مع مدلول اللفظ القرآني وهنا نقف على أصح تفسيرٍ للآية. وتبقى الإشكالية عندنا إذا ما أفادت دلالة الآية معنىً معيناً و وُجدت روايات لا تتفق مع الدلالة القرآنية، بل تخالفها، ولا تراعيها، فبأيهما نأخذ؟ وما المنهج السليم في اتباعه للخروج بنتيجة صحيحة مقبولة؟

هذا البحث يعالج هذه النقطة من خلال قصة نبي الله يحيى عليه السلام، فجمهور المفسرين يذكرون أن نهايته كانت القتل، لكننا لا نجد في القرآن الكريم نصا يذكر أنه قُتل، بل يذكر في حقه الموت، وشتان بين القتل والموت، فضلا عن التشابه العجيب بين قصته وقصة عيسى عليهما السلام- الذي اتفق اليهود والنصارى على أنه قُتل!! . فعلامَ اعتمد المفسرون في القول بأن يحيى قُتل؟ وما دلالات الآيات التي تتحدث عنه؟ هذا هو محور الدراسة، والتي أدرتها من خلال مقدمة وأربعة مباحث، الأول: في حياة النبي يحيى عليه السلام من خلال (ولادته، وصباه، وخصائصه، ونبوته). الثاني: عن نهايته من خلال الروايات بالمأثور. الثالث: عن نهايته وفق دلالة اللفظ القرآني. الرابع: المقارنة بين قصته وقصة عيسى عليه السلام.[1]

1. من النبي يحيى عليه السلام؟

هو نبي الله يحيى بن نبي الله زكريا بن حنا ويقال: زكريا بن دان، بن مسلم بن صدوق بن محمان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برحية بن ناخور بن بهفانيا بن حاش بن أني بن خثعم بن سليمان بن داود.[2] وقد بُعث إلى بني إسرائيل. بشر الله سبحانه وتعالى به أباه زكريا وسماه باسم يحيى. وقد اختلف العلماء في سبب التسمية، فقال ابن عباس: لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه، وقال قتادة: لأن الله أحيا قلبه بالإيمان والنبوة، وقال الفضيل : لأن الله أحياه بالطاعة.[3]

خصه الله سبحانه بخصائص عظيمة، وأولها أنه اصطفاه واختاره نبيا إلى بني إسرائيل. فضلا عن خصائص تميز بها منذ صغره، وهي: أنه سيد وحصور وأوتي الحُكم أو الحِكمة.

وقد ورد اسم يحيى عليه السلام خمس مرات في كتاب الله سبحانه، وهذه المواضع هي:

قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾.[4]

وقوله: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.[5]

---

[1] – انظر في فكرة البحث: جرار، بسام. حقيقة قتل يحيى عليه الشلام. (مقطع فيديو، نشر في 22 /2010/07).

[2] – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. مح. عبدالله عبدالمحسن التركي. (دار هجر للطباعة ط1، 1997م) 294/2.

[3] – النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الإرب في فنون الأدب. مح. مفيد قمحية وآخرون.(بيروت: دار ا الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2004م)، 156/14

[4] – سورة آل عمران: 39،40/3.

[5] – سورة الأنعام: 84،85/7.

وقوله: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾.[6] وقوله:﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾.[7] والموضع الذي جاءت فيه قصته بشكلٍ أطول هو سورة مريم. كانت ولادة يحيى معجزة لأبيه زكريا عليهما السلام، حيث بلغ الكبر هو وزوجه، ولم يكن يرجو ذرية في ذلك الوقت، حسب العرف الطبيعي لسن المرأة، ولكنه عندما رأى مريم عليها السلام وقد رزقت الفواكه في غير أوانها، سألها عن السبب قائلاً : ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.[8][وههنا توجه زكريا إلى المولى سبحانه وتعالى أن يرزقه بولدٍ يرثه من بعده، فدعا قائلا ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ... ﴾.[9]

1.1 بعثته

يُبعث الأنبياء والرسل عادةً في عمر الأربعين، وهو أوان النضج والاكتمال العقلي والنفسي والجسمي...إلا ما جاء في حق يحيى وعيسى عليهما السلام، فظاهر الأدلة القرآنية تذكر أنهما بُعثا وهما صغيران. وهو الذي ذهب إليه جمهور المفسرين، يقول الرازي – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وآتيناه الحكم صبيا﴾[10]" ... والثالث: أنه النبوة؛ فإن الله تعالى أحكم عقله في صباه وأوحى إليه، وذلك لأن الله تعالى بعث يحيى وعيسى عليهما السلام وهما صبيان لا كما بعث موسى ومُحَمَّدا عليهما السلام، وقد بلغا الأشد"...ثم رجح فيما ذهب إليه بقوله " والأقرب حمله على النبوة لوجهين؛ الأول: أن الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفهِ ومنقبتهِ، ومعلوم أن النبوة أشرف صفات الإنسان فذِكْرُهما في معرض المدح أولى من ذكر غيرها، فوجب أن تكون نبوته مذكورةً في هذه الآية، ولا لفظ يصلح للدلالة على النبوة إلا هذه اللفظة..."[11] ثم يعلل ابن عاشور ذلك بقوله:" ولعل الله لما أراد أن يكون شهيداً في مقتبل عمره باكره بالنبوءة".[12]

---

[6] – سورة مريم: 19/ 2-15

[7] – سورة الأنبياء: 21/ 89-90

[8] – سورة آل عمران: 3/37.

[9] – سورة آل عمران: 3/38-39.

[10] – سورة مريم: 19/42.

[11] – الرازي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين. مفاتيح الغيب. (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ط3 ،1420هـ) 21/516.
وانظر: ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر التونسي. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. (تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، 1984،) 16/76.

[12] – التحرير والتنوير، 16/76

والحق أن قصة يحيى عليه السلام جاءت مقتضبة في القرآن الكريم، مكتفية بذكر بعض صفاته، بعد أن ذكر أنه استجابة لدعاء أبيه زكريا. وتخبرنا بعض المصادر كذلك عن بعض أعماله من قيامه بمهام الدعوة إلى الله، وكان صبيا زكيا أحكم الله عقله، عاشقا للعبادة عاكفا في محراب العلم، محصيا لمسائل التوراة – قبل تحريفه – مستجليا لغوامضها، محيطاً بأسرارها، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا يخشى في قول الحق، ويعمّد الناس في نهر الأردن، ليتخلصوا من الخطايا، وقد أخذ النصارى عنه تلك الطريقة في التعميد وسمّوه يوحنا المعمداني.[13] ولم تذكر الكتب المعتمدة المدة التي عاشها نبي الله يحيى عليه السلام على وجه التحديد.

2. نهاية النبي يحيى عليه السلام

تكاد تجمع كتب التفاسير والتاريخ على أن نهاية يحيى عليه السلام كان القتل، وبعضهم يذهب إلى أنه نُشر في رأسه بالمنشار — كما سيأتي قريباً–، وعمدتهم في هذا تلك الروايات الكثيرة التي وردت عند بعض السلف، مما ذكره شيخ المفسرين الطبري وغيره من أصحاب المصنفات الحديثية. وجلُّ هذه الروايات عن أهل الكتاب. ولعل أصحها ما جاء عند ابن أبي شيبة — في مصنفه– عن عروة بن الزبير قال:(ما قتل يحيى بن زكريا إلا في امرأة بغي قالت لصاحبها لا أرضى عنك حتى تأتيني برأسه، فأتاها برأسه في طست). وكذلك ما رواه الحاكم النيسابوري موقوفا عن عبدالله بن الزبير قال:(قُتل يحيى بن زكريا في زانية كانت جارية).[14] وجاء تفصيل الخبر أكثر عند ابن كثير حيث ذكر: أن ملكا من ملوك ذلك الزمان أراد الزواج بإحدى محارمه، أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها، استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها فبعثت إليه من قتله. والله أعلم)[15] وأما السيوطي فقد ذكر عدة روايات في هذا المقام،فأورد عن ابْن عَسَاكِر عن الحسين بن علي عليهما السلام قال:(كَانَ ملك مَاتَ وَترك امْرَأَته وَابْنَته فورث ملكه أَخُوهُ فَأَرَادَ أَن يتَزَوَّج امْرَأَة أَخِيه فَاسْتَشَارَ يحيى بن زَكَرِيَّا فِي ذَلِك وَكَانَت الْمُلُوك فِي ذَلِك الزَّمَان يعلمُونَ بِأَمْر الْأَنْبِيَاء فَقَالَ لَهُ: لَا تتزوّجها فَإِنَّهَا بغي فَبلغ الْمَرْأَة ذَلِك فَقَالَت: ليقْتلن يحيى أَو ليخرجن من ملكه، فعمدت إِلَى ابْنَتهَا فصيغتها ثمَّ قَالَت اذهبي إِلَى عمك عِنْد الْمَلأ فَإِنَّهُ إِذا رآك سيدعوك ويجلسك فِي حجره وَيَقُول: سليني مَا شِئْت فَإِنَّك لن تسأليني شَيْئا إِلَّا أعطيتك فَإِذا قَالَ لَك فَقولِي: لَا أسألك شَيْئا إِلَّا رَأس يحيى، وَكَانَت الْمُلُوك إِذا تكلم أحدهم بِشَيْء على رُؤُوس الْمَلأ ثمَّ لم يمض لَهُ نزع من ملكه، فَفعلت ذَلِك فَجعل يَأْتِيهِ الْمَوْت من قَتله يحيى وَجعل يَأْتِيهِ الْمَوْت من خُرُوجه من ملكه، فَاخْتَارَ ملكه، فَقتله فساخت بأمها الأَرْض قَالَ ابْن جدعَان: فَحدثت بِهَذَا الحَدِيث ابْن الْمسيب فَقَالَ: أما أخْبرك كَيفَ كَانَ قتل زَكَرِيَّا قلت: لَا، قَالَ: إِن زَكَرِيَّا حَيْثُ قتل ابْنه انْطلق هَارِبا مِنْهُم واتبعوه حَتَّى أَتَى على شَجَرَة ذَات سَاق فدعته إِلَيْهَا فانطوت عَلَيْهِ وَبقيت من ثَوْبه هدبة تلعبها الرّيح فَانْطَلقُوا إِلَى الشَّجَرَة فَلم يَجدوا أَثَره عِنْدهَا فنظروا تِلْكَ الهدبة فدعوا الْمِنْشَار فَقطعُوا الشَّجَرَة فقطعوه فِيهَا". وأورد السيوطي عَن ابْن عَبَّاس قال:" أوحى الله إِلَى مُحَمَّد صلى الله عليه وَسلم إِنِّي قتلت بِيَحْيَى بن زَكَرِيَّا سبعين ألفا وَإِنِّي قَاتل بِابْن ابْنَتك سبيعن ألفا وَسبعين ألفا".[16]

ومع اعتمادهم على الروايات السابقة ، اعتمد العلماء أيضاً على القرآن الكريم، وقد سبق أن جميعهم قد ذكروا قتل يحيى عند الآيتين في سورتي البقرة عند قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

---

[13] – انظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير الوسيط.(دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ) ص1464

[14] – الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه الضبي الطهماني،.المستدرك على الصحيحين. مح. مصطفى عبد القادر آل. عطا. (بيروت: دار الكتب العلمية، ط،،14141هـ/1990م)، كتاب التفسير، سورة عمران، 2:318، وصححه و وافقه الذهبي.

[15] – ابن كثير. البداية والنهاية، 3 /53.

[16] – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. مح. مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط1394 ، هـ/1974)، 492/5.

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[17] وآل عمران عند قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[18] وكان اسم يحيى من أهم الأسماء التي ترد عندهم، بل ذكره بعضهم مع أبيه زكريا؛ أي أن كليهما قُتلا في نفس الوقت، يقول الطبري: " يعني بذلك أنهم كانوا يقتلون رسل الله الذين كانوا يُرسلون إليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله ...نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من انبياء الله".[19] وتبعه في ذلك الزمخشري، والرازي، والبيضاوي وغيرهم.. يقول الرازي: " ...الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَة: رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ رَجُلًا أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقتلوا مَنْ أمرهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقُتِلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَيْضًا القوم قتلوا يحيى بن ذكريا، وزعموا أنهم قتلوا عيسى بن مَرْيَمَ فَعَلَى قَوْلِهِمْ ثَبَتَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاء.[20] ويقول البيضاوي: "... وقتلهم الأنبياء فإنهم قتلوا شعياء وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم، إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم، وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار إليه بقوله:﴿ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ ﴾أي: جَرَّهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه إلى الكفر بالآيات، وقتل النبيين[21] ويقول ابن عاشور الذي استشهد بهذه الروايات عن يحيى عليه السلام إنه " لم تذكر قصة قتله في القرآن إلا إجمالاً"[22] هذه هي نهاية نبي الله يحيى عليه السلام كما وردت في أكثر المصادر الإسلامية، من تفسيرية وحديثية وتاريخية، وهي مما أخذها المسلمون عن أهل الكتاب، أو ما اصطلح عليه اسم (الروايات الإسرائيلية). وأما ذكره في القرآن الكريم فلم يأت صريحاً، وابن عاشور الذي قال إن ذكر قتله جاء إجمالا كان يقصد تلك الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل لقتلهم أنبياءهم – كما سبق– ، ولم يقصد تعيين اسم يحيى عليه السلام. وأمام هذا الكم الكبير من الروايات التي استشهد بها المفسرون لا يغدو الأمر سهلا على باحث مثلي– لم يؤت سعة من العلم – أن يخالف إجماعهم هذا – أو شبه إجماع – ولا أن يخرق اتفاقهم، لكنها الدلالة القرآنية التي أوقفتني، وجعلتني أعيد النظر في المسألة، وهي أسئلة واستفسارات كثيرة تحتاج إلى إجابات على أقل تقدير. وهي دعوة مني للإخوة الباحثين ليعيدوا النظر في الآيات التي ذكرت قصة نبي الله يحيى عليه السلام. لذا سنقف — في مبحثنا التالي — على النصوص القرآنية لنرى دلالات تلك الألفاظ من خلال منطوقها وسياقاتها.

3. نهاية النبي يحيى عليه السلام من خلال دلالات الألفاظ القرآنية

من خلال عرض المواضع التي جاء فيها ذكر يحيى عليه السلام وجمعها وترتيبها ترتيباً تاريخياً — من ولادة يحيى إلى نهايته – يسهل علينا معالجة قصته عليه السلام، وفق سياق معين، يبدأ بكيفية ولادته، من حيث هو دعوة أبيه زكريا، ووارثه، ثم الوقوف على خصائصه وصفاته، وأولها أن الله سبحانه سماه بهذا الاسم — يحيى — وأمره بالقيام بواجب الدعوة والتبليغ بقوة، وإلى أن قرر

---

[17] – سورة البقرة: 61/4.

[18] – سورة آل عمران: 21/3.

[19] – الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الآملي. جامع البيان في تأويل القرآن. مح: أحمد مُحَمَّد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ/2000 م) 284/6

[20] – الرازي، مفاتيح الغيب، 176/7

[21] – البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. مح. مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ)، 84/1

[22] –.ابن عاشور، التحرير والتنوير، 78/16

في حقه بأن السلام كائن عليه يوم ولادته ويوم يموت— وليس يُقتل — ويوم يُبعث حيا. ثم ما القواسم المشتركة بين قصته عليه السلام وقصة ابن خالته عيسى عليه السلام؟

1.3 دعاء زكريا عليه السلام

قص القرآن الكريم علينا قصة زكريا الذي لم يؤتَ ذريةً، وقد بلغ من الكبر عتياً، هو وزوجه، لكنه بعدما رأى من مريم ما رأى توجه إلى مولاه سبحانه أن يرزقه ولداً يرثه. وهذا أول الأدلة التي سنقف عندها ملياً؛ فبعض الروايات تذكر أن الزمن بين مقتل زكريا ويحيى كان قصيرا، وبعضها تقول بقتلهما معا —كما مر معنا. والسؤال هنا: كيف يكون القتل من نصيب زكريا ويحيى في آن واحد، أو بفارق زمني قصير، ويكون في نفس الوقت استجابة من الله سبحانه وتعالى لدعاء زكريا، ﴿ فاسْتَجبْنا لهُ﴾؟ هل تحققت دعوة زكريا في وراثة ابنه له من خلال تأخره – يحيى – عنه على وجه الأرض لبضعة أيام؟ إذاً الروايات التي تقول بقتلهما معا أو بقتلهما بفارق قليل تتعارض والسياق العام في القصة، والغاية من تحقيق دعاء زكريا. ونخرج بنتيجة تقول: إن الفارق الزمني بين موت زكريا ونهاية ابنه يحيى كانت طويلة للغاية، فهو الذي ورث أباه في التبليغ والدعوة بين الناس.

2.3 دلالة الاسم – يحيى–

أخبرنا الله عز وجل أنه هو الذي منح اسم يحيى للولد الذي رُزق به زكريا، وإذا علمنا أن اسم يحيى اختيار إلهي فإنه ينبغي علينا الوقوف على معناه؛ فلا يطلق ربنا سبحانه اسماً دون أن يكون له دلالات ومعانٍ قد تظهر لنا وقد لا تظهر، أو تظهر بعضها. وتختلف تسمية الله عز وجل عن تسمية البشر، فقد يسمي أحدهم ابنه صالحا لكنه عندما كبر لم يكن صالحاً، وقد يسمي أحدهم ابنته قانتة لكنها عندما كبرت لم تكن كذلك...والسبب أن البشر لا يعلمون الغيب، فهم يسمون على أمل ورجاء أن يكون أولادهم على درجة من الصلاح والقنوت...لكننا أمام اسم من اختيار رب العالمين، الذي يعلم الغيب، ويعلم مستقبل المسمى بهذا الاسم، فهو (يحيى) سواء من العبرية أو من العربية ، فالقرآن ينعته بـ (يحيى) من الحياة – وهذا المعنى مترجم بدقة عن اللغة الأم– ؛ لأنه ترجمة رب العالمين. ثم إنه اسم لم يسبق إليه ابن زكريا، وهذا أيضا فيه من المعاني والدلالات ما قد يغيب عنا، لكنه يقدم لنا دليلا بأنه يحيى، وهذا لا يتفق والقول بأنه قُتل على يد الملك.

3.3 الفرق بين القتل والموت

أخبرنا الله سبحانه عن يحيى بأنه يعيش في سلام وهو الأمان، من يوم ولادته وإلى يوم بعثه، مرورا بيوم وفاته ﴿والسَّلامُ عليهِ يَومَ وُلدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبعثُ حيّاً ﴾.[23] والكلام من الله سبحانه، فهو الذي يقرر أن يحيى مشمول بالسلام في الحالات الثلاث. إذاً القرآن يؤكد بأنه (يموت) ولم يقل (يُقتل)، والدليل أنهما ليسا بنفس المعنى هو ما جاء في القرآن الكريم من التفريق بين الحالتين، وفي مواطن كثيرة، يقول سبحانه و تعالى﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لِإِخْوانِهِمْ إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.[24] هنا نجد ان الله فرق بين القتل والموت، وفي مواضع ثلاثة. ويقول أيضا ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ... ﴾.[25] ويقول أيضا ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.[26] وقولِهِ

[23] – سورة مريم: 15/19.

[24] – سورة آل عمران: 3/ 156-158.

[25] – سورة آل عمران: 3/ 144.

[26] – سورة الأحزاب: 16/33.

تعالى:﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ... ﴾[27]، فهذه ست مواضع وفيها يفرق القرآن الكريم بين الموت والقتل، وهذا يعني المغايرة بينهما. وسوف نقف الآن على بعض التفسيرات لهاتين الكلمتين، لنرى كيف فرّق المفسرون بين معنييهما، ولم يقل أحد منهم أنهما بنفس المعنى. يقول الماتريدي – عند قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[28]" أي: إن متم على فراشكم، أو قتلتم في سبيل الله – فإليه تحشرون، فمعناه – والله أعلم – أي: إن لم تقدروا على أن لم تحشروا إليه، كيف تقدرون ألا ينزل على فراشكم بكم الموت، وإن أقمتم في بيوتكم؟! والله أعلم.[29] ويقول الراغب الأصفهاني في الموضع نفسه :"كأنه قيل: إن حصل ما لابد منه بوجه وهو الموت حتف الأنف، أو ما هو عارض، وعندكم أنه قد يكون منه خلاص، وهو القتل، فالحشر لا محالة حاصل."[30]

ويقول الرازي– عند قوله تعالى﴿ ... إذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كانُوا غُزًّى لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ.. ﴾ "...الْمَسْأَلَةُ السَّابِعَةُ: قَالَ الْوَاحِدِيُّ: فِي الْآيَةِ مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، وَالتَّقْدِيرُ: إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ فَمَاتُوا أَوْ كَانُوا غُزَاةً فَقُتِلُوا، لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، فَقَوْلُهُ: مَا ماتُوا وَما قُتِلُوا يَدُلُّ عَلَى مَوْتِهِمْ وَقَتْلِهِمْ"[31] ويقول الشعراوي: "... إن القضية الإيمانية هي ﴿والله يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي هو الذي يَهَب الحياة وهو الذي يهب الموت، فلا الضرب في الأرض ولا الخروج في سبيل الله هو السبب في الموت، ولذلك يقول خالد بن الوليد – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه –: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربةُ سيف أو طعنة رمح، وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعيْر – أي حتف أنفه – فلا نامت أعين الجبناء"[32]

ويفرق الشعراوي بين الموت والقتل – عند قوله تعالى ﴿إني متوفيك ورافعك إلي...﴾[33] قائلاً: " كلاهما يلتقي في أنه سلب للحياة، وكلمة (سلب الحياة) قد تكون مرة بنقض البنية، كضرب واحد لآخر على جمجمته فيقتله، هذا لون من سلب الحياة، ولكن بنقض البنية. أما الموت فلا يكون بنقض البنية، إنما يأخذ الله الروح، وتبقى البنية كما هي، ولذلك فرق الله في قرآنه الحكيم بين (موت) و(قتل) وإن اتحدا معا في إزهاق الحياة. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم ...﴾[34] إن الموت والقتل يؤدي كل منهما إلى انتهاء الحياة، لكن القتل ينهي الحياة بنقض البنية، ولذلك يقدر بعض البشر على البشر فيقتلون بعضهم بعضا. لكن لا أحد يستطيع أن يقول: (أنا أريد أن يموت فلان)، فالموت هو ما يجريه الله على عباده من سلب للحياة بنزع الروح. إن البشر يقدرون على البنية بالقتل، والبنية ليست هي التي تنزع الروح، ولكن الروح تحل في المادة فتحيا، وعندما ينزعها الله من المادة تموت وترم أي تصير رمة. إذن، فالقتل إنما هو إخلال بالمواصفات الخاصة التي أرادها الله لوجود الروح في المادة، كسلامة المخ أو القلب. فإذا اختل شيء من هذه المواصفات الخاصة الأساسية فالروح تقول: (أنا لا أسكن هنا). ...إذن، فالروح لا تحل إلا في بنية لها مواصفات خاصة، والقتل وسيلة أساسية لهدم البنية؛ وإذهاب الحياة، لكن الموت هو

---

[27]– سورة الحج: 58/22.

[28]– سورة آل عمران: 58/3.

[29] – الماتريدي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود أبو منصور. تفسير تأويلات أهل السنة. مح. مجدي باسلوم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426 هـ/ 2005 م)، 514/2.

[30] – الراغب الأصفهاني، الحسين بن مُحَمَّد بن مفضل. مقدمة جامع التفسير. مح. أحمد فرحات، (الكويت: دار الدعوة، ط1، 3/ 94.

[31] – الرازي، مفاتيح الغيب، 401/9.

[32]– الرازي: مفاتيح الغيب، 1833/3.

[33]– سورة آل عمران: 156/3.

[34]– سورة آل عمران: 3/ 144.

إزهاق الحياة بغير هدم البنية، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى. ولكن خلق الله يقدرون على البينة، لأنها مادة ولذلك يستطيعون تخريبها" [35]فإذا علمنا أن الله يقول في حق يحي ﴿ ويوم يموت﴾ فإنه يقصد الموت لا القتل، وعندئذٍ يبطل القول بأن يحي قُتل.

4. أوجه التشابه بين قصتي يحي وعيسى عليهما السلام

لعله من الأهمية بمكان أن نقف عند قصة نبي الله يحي وعيسى عليهما السلام، لا سيما وأن ذكرهما جاء تباعاً في القرآن الكريم، وذلك من خلال:

1.4 صلة القربى

فيحي وعيسى هم أولاد خالة؛ حيث تزوج عمران بن ماثا – والد مريم – بحنة بنت فاقوذ، وتزوج زكريا بن إذن بأختها إلياصبات. وينتهي نسبهما إلى سليمان بن داود عليهم السلام[36] ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[37] والقرآن الكريم قص علينا قصتيهما من خلال ترتيبٍ عجيبٍ، حيث بدأ الحديث عن امرأة عمران وحملها بمريم، ثم انتقل إلى بيان معجزة الحمل بيحي، ليعود مرة أخرى ويكمل الحديث عن مريم وحملها بعيسى –كلمة الله –.

2.4 ولادتهما معجزة

ويتجلى وجه التشابه بين القصتين في أن عيسى وُلد من غير أب – وهذا غير ممكن في عرف الناس وقوانينهم– وأن يحي وُلد بعد أن بلغ والداه من العمر عتياً – وهذا أيضا غير ممكن في عرف الناس وقوانينهم –، ليؤكد القرآن الكريم على أن الحالتين من عند الله، و ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[38]

3.4 الحكم في الصغر

يقول الله سبحانه عن يحي: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم12]، وذاك عيسى يدافع عن أمه، فيثبت لنفسه النبوة وهو في المهد، فيقول: {إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [39] ولسنا هنا في وارد التحقيق في المقصود بالحكم، أهو النبوة –كما ذهب إليه بعض العلماء–، أو إرهاصات النبوة –كما ذهب إليه الجمهور – لكننا أمام حالةٍ معجزةٍ تتجلى في كلام الصغيرين، وصدور ما لا يصدر من أمثالهما في الصغر.

4.4 ترك الزواج

وهذا أيضا مما اشترك فيه الاثنان؛ فيحي عليه السلام رجل حصور؛ لا يأتي النساء، لا لعدم قدرةٍ –كما ذهب إليه البعض–، بل تعففاً وزهداً عن الدنيا وملذاتها، ﴿وسيدا وحصورا ﴾ والأمر نفسه عن عيسى عليه السلام؛ فالروايات تقول إنه لم يتزوج؛ لكثرة أسفاره وتنقلاته، التي يصعب معها الاقتران بامرأة.

---

[35] – الشعراوي، مُحَمَّد متولي. الخواطر. (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د. س).1501/3.

[36] – ابن كثير، إسماعيل بن عمر أبو الفداء، (ت 774هـ)، تح: سامي مُحَمَّد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2،420 هـ/ 1999م)، 33/2.

[37] – سورة آل عمران: 33/3-34.

[38] – سورة يس: 82/36.

[39] – سورة مريم: 30/19.

5.4 التسمية

سبق بيان أن الله سبحانه وتعالى سمى ولد زكريا بهذا الاسم – يحيى–، وكذلك عيسى؛ فقد بشرت الملائكة مريم بهذا الاسم ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ... ﴾[40] فالاسمان من اختيار رب العالمين، ولهذا دلالته التي لا تخفى على بصائر ذوي التمييز.

6.4 عموم الصفات

التعبير عن البشارة بالاثنين بالكلمة، وإسنادها في كليهما لله: ذكرت الآيات – بعد التبشير – صفات كل من يحيى وعيسى، وكانت خمساً لكل منهما، فعن يحيى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وهو قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ من اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، وعن عيسى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فيحيى مصدق بكلمة من الله، وسيد، وحصور، ونبي، ومن الصالحين، وعيسى كلمة الله، وجيه في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً، ومن الصالحين.

اشتراك يحيى وعيسى في كثير من الصفات: ولا أعني فقط الصفات التي ذكرتُها في النقطة السابقة والتي جاءت عند التبشير، فكان كل من يحيى وعيسى نبياً من الصالحين، في منأى عن التجبر، هذا بار بوالديه، والآخر بار بوالدته، وأخيراً كان كل منهما آمناً في مواطن الخوف.

7.4 التشابه في مراحل الحياة والبعث بعد الموت (السلام)

ذكر القرآن الكريم ثلاث مراحل رئيسة لحياة الاثنين، تتجلى في لحظة الولادة، وعند الممات، ويوم البعث والنشور، فقد قال على لسان عيسى عليه السلام عندما واجه قومه من بني إسرائيل: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[41] وقال عن يحيى– والكلام من الله سبحانه مباشرة – وليس على لسان يحيى– ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ويورد السيوطي ههنا لطيفة تقول: " إن عيسى ويحيى التقيا، فقال يحيى لعيسى: استغفر لي؛ أنت خير مني، فقال له عيسى: بل أنت خير مني؛ سلم الله عليك، وسلمت على نفسي، فعرف والله فضلهما." لكن ابن عاشور عنده تفسير آخر حيث يقول: " ...بأن السلام على عيسى جاء معرفاً باللام الدالة على الجنس، مبالغةً في تعلّق السلام به، حتى كان جنس السلام بأجمعه عليه، وهذا مؤذنٌ بتفضيله على يحيى، إذ قيل في شأنه﴿ وسلام عليه﴾ وذلك هو الفرق بين المعرف بلام الجنس وبين النكرة."[42]

وإذا وقفنا عند هذه المراحل أو المحطات الثلاث سنخرج بنتيجة مهمة للغاية، وهي: أن الولادة قد تمت وذلك من خلال نطقهما، والحديث عن الولادة بصيغة الماضي، فعن عيسى قوله ﴿ يوم ولدتُ﴾ وعن يحيى﴿ يوم وُلدَ﴾ إذن الولادة قد تمت وجاء الاثنان إلى هذه الدنيا بأمان وسلام، لم يمسهما سوء أو عيب أو نقص. وأما يوم القيامة فهو آتٍ لا محالة، لكنه لم يكن موجودا حين صغرهما، ولذلك جاء الحديث عن هذا اليوم بصيغة المستقبل، فعلى لسان عيسى﴿ و يوم أبعث حياً﴾ و عن يحيى﴿ ويوم يبعث حياً﴾. وهذا محل اتفاق بين الجميع، لا يحتمل الاختلاف. ولأن المفسرين، وفي مقدمتهم الطبري – اعتمدوا تلك الروايات الإسرائيلية وذهبوا إلى أنه قُتل، فقد أولوا ﴿ يوم يموت﴾ بما بعد الموت، وهو عالم البرزخ! يقول الطبري:" وقوله ﴿ وَسَلامٌ

---

[40] – سورة آل عمران: 45/3.

[41] – سورة مريم: 33/19.

[42] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 77/16.

عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقول: وأمان من الله يوم ولد، من أن يناله الشيطان من السوء، بما ينال به بني آدم، وذلك أنه رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إلا ما كانَ مِنْ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا... وقوله (وَيَوْمَ يَمُوتُ) يقول: وأمان من الله تعالى ذكره له من فَتَّاني القبر، ومن هول المطلع ﴿ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقول: وأمان له من عذاب الله يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر، من أن يروعه شيء، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق"[43] فهو – رحمه الله– يعرف مدلول السلام، الذي يتعارض والقتل، ولما لم يكن عنده بد من استحضار تلك الإسرائيليات، وما جاء فيها من تصوير تلك النهاية المؤلمة ليحيى عليه السلام، فَسّر يوم موته – الزمان– بموضع قبره – المكان–!! أما الإمام الماتريدي فمع أنه يقر بالاختلاف بين الموت والقتل إلا أنه يعيد الأمرين إلى معنى واحد لسبب وحيد هو الرواية فحسب، حيث يقول:" في قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ دلالة أن الموت والقتل سواء، وإن كان في الحقيقة مختلفًا؛ لأنه ذُكر في القصة أن يحيى قتل، ثم ذكر الموت، فدل أنهما واحد، فهذا يرد على المعتزلة، حيث قالوا: إن المقتول ميت قبل أجله، وفيه أن قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾[44] إنما نهانا أن نسميهم أمواتًا في جهة ليس في الجهات كلها، حيث سمى يَحْيَى: ميتًا، وهو كان شهيدًا على ما ذكر أنه قتل..."[45] وذهب ابن عطية إلى أن المقصود بالسلام هنا التحية، قائلاً:" والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة فهي أشرف وأنبه من الأمان لأن الأمان متحصل له بنفي العصيان وهي أقل درجاته وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحياه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله وعظيم الهول"[46] وأما الرازي فقد ذكر عدة أقوال في معنى السلام، حيث ذهب في القول الأول إلى مشايعة الطبري، ثم ذكر قولاً للقاضي وهو يفسر السلام قائلاً:"...الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: قَالَ الْقَاضِي: السَّلَامُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْأَمَانُ وَمِنْهُ السَّلَامَةُ فِي النِّعَمِ وَزَوَالُ الْآفَاتِ فَكَأَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ وَطَلَبَ مِنْهُ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَعَلَهُ بِيَحْيَى، وَلَا بُدَّ فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُسْتَجَابِي الدَّعْوَةِ وَأَعْظَمُ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ احْتِيَاجًا إِلَى السَّلَامَةِ هِيَ هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثَةُ وَهِيَ يَوْمُ الْوِلَادَةِ وَيَوْمُ الْمَوْتِ وَيَوْمُ الْبَعْثِ..."[47] وهل القول بقتله، وقطع رأسه يستقيم مع الأمان؟!. ولقد رأينا من خلال عرض أقوال أشهر المفسرين أن الجميع يؤمن بأن يحيى عليه السلام قد قُتل، والدليل تلك الروايات الإسرائيلية، وقد عمدوا في سبيل الوقوف عند تلك الروايات إلى أن يفسروا الموت بـ : ما بعد الموت، وبـ : مَن يلتقي بهم يحيى في عالم البرزخ، وهو تفسير بعيد عن دلالة اللفظ، كما أرى، والله أعلم.

ولنعد مرة أخرى إلى نهايتهما عليهما السلام؛ فعيسى عليه السلام يقول ﴿ ويوم أموت﴾ ولم يقل (ويوم أُصلب) أو (ويوم أقتل) بل (أموت)، ولذلك كذّب القرآن الكريم زعم اليهود والنصارى أن عيسى صُلب ثم قام من بين الأموات ﴿ وما قتلوه وما صلبوه...وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه﴾[48][النساء: 157] فمعتقدنا في عيسى عليه السلام أن الله نجاه من القتل والصلب. وأما موته؛ فالمسلمون بمختلف مذاهبهم على أن عيسى عليه السلام حيٌّ لم يمت، وسوف يأتيه الموتُ في آخر الزمان، قبل يوم القيامة، وذلك من خلال دلالة الآيات القرآنية – غير القطعية–، ودلالة الأحاديث الصحيحة. فإذا عدنا الآن إلى قصة يحيى عليه السلام– بعد اطلاعنا على قصة عيسى عليه السلام– سهل علينا الإيمان بأن يحيى عليه السلام لم يُقتل بيد قومه، لأن القتل مناف للسلام، فالقتل يعني الخوف والهلع والمكابدة والجزع وهدم للبنية وخلل في الأعضاء، وكل هذا يتنافى مع مفهوم السلام

---

[43]– .الطبري، جامع البيان 161/18

[44]– سورة البقرة: 2/ 154.

[45] – تأويلات أهل السنة، سورة مريم 225/7

[46] – ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.مح: عبد السلام عبد الشافي محمد.(بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ) 8/4.

[47] – الرازي، مفاتيح الغيب، 21 /536.

[48] – سورة النساء: 157/4.

الذي يعني الأمن والأمان والطمأنينة. ومعلوم أن القصة تروى لمحمد ﷺ، والقصة تقول ﴿ ويوم يموت﴾، فهل هذا يعني أن يحيى عليه السلام أيضا رُفع إلى السماء؟ أي أنه إلى الآن حي؟ هذا ما لا نستطيع الجزم به أو القول فيه على وجه اليقين، لكننا أمام حالتين تتجلى فيهما معجزات الله سبحانه في مختلف المراحل. ولا ننس الحديث الطويل الذي يقول فيه إن مُحَمَّدا رأى ليلة أسري به التقى بعيسى ويحيى في السماء الثانية، وهذا دليل آخر على تشابههما في مجمل الصفات والمراحل والمواقف والمصير.

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في رحاب آيات القرآن الكريم والعيش في ظلالها في قصة النبي يحيى عليه السلام يظهر لي – والله أعلم –.

1 – أن الروايات التي ورد ذكرها في كتب التراث الإسلامي من تفاسير ومصنفات حديثية وكذلك كتب التاريخ، كلها قد جاءت عن طريق أهل الكتاب – اليهود والنصارى– أو ما اصطلح على تسميته بـ الروايات الإسرائيلية.

2 – أن الصحيح من تلك الروايات قليلة جداً مقارنة بغير الصحيح.

3 – أن المقصود من الصحة هنا صحة السند.

4 – أن القرآن الكريم من خلال الآيات التي ورد فيها ذكر يحيى عليه السلام واضحة في عدم وجود ذكرٍ للقتل.

5 – أن قصة يحيى تشبه كثيرا قصة عيسى عليهما السلام، من خلال ولادتهما، واسميهما، وصفاتهما الأخرى.

6 – أن هذا التشابه يعد من القرائن القوية في أن نهاية يحيى أيضاً مشابهة لنهاية عيسى، وهو انتفاء القتل عنهما، وذكر الموت الطبيعي في حقهما.

7 – أن الأدلة صحيحة في أن عيسى حيٌّ ، وأن العقل والشرع لا يمنعان أن يكون يحيى أيضا حيّاً، لكن من غير تأكيدٍ أو جزمٍ.

المصادر والمراجع

أبو السعود، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى العمادي. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د.س.

ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر التونسي. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر، د. ط، م1984.

ابن عطية الأندلسي، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مح. عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. مح. عبدالله عبدالمحسن التركي. الرياض: دار هجر للطباعة، د. ط، 1997.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. مح. مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ

الرازي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين. مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3، 420 1هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد. المفردات في غريب القرآن. بيروت: دار المعرفة، د. ط، د.س.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن مُحَمَّد بن مفضل. مقدمة جامع التفسير. مح. أحمد فرحات. الكويت: دار الدعوة، ط1، 1405هـ/1984م .

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر المعاصر ، ط2، 1418 هـ.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. مح. مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1394 هـ/1974م.

الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الآملي. جامع البيان في تأويل القرآن. مح أحمد مُحَمَّد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ /2000م.

الماتريدي، أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود. تأويلات أهل السنة. مح. مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426 هـ/ 2005 م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد البصري البغدادي. النكت والعيون. مح. السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د.س .

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه الضبي الطهماني. المستدرك على الصحيحين. مح. مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1990م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الإرب في فنون الأدب. بيروت: دار الكتب العلمية. مح. مفيد قميحة وآخرون. ط1/1424هـ/2004م.

KAYNAKÇA

Beydavî, Nâsıruddîn Ebu Said Abdullah İbn Ömer b. Muhammed eş-Şirazî. *Envâru't-Tenzîl ve Esrâru't-Te'vîl.* Tahkik: Muhammed Abdurrahman Mar'aşlı, Beyrut: Dâru İhyâi't-Turâsi'l-Arabî, 1418.

Ebu Suûd, Muhammed b. Muhammed b. Mustafa el-İmadî. *İrşâdu'l-Akli's-Selîm ilâ Mezâyâ'l-Kitâbi'l-Kerîm.* Beyrut: Dâru İhyâi't-Turâsi'l-Arabî, tsz.

Hâkim en-Nisabûrî, Ebu Abdillah Muhammed b. Abdillah b. Muhammed b. Hamdeveyh ed-Dabî et-Tehmânî. *el-Müstedrek ala's-Sahîheyn.* Tahkik: Mustafa Abdulkadir Atâ, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1411/1990.

İbn Âşûr, Muhammed Tâhir b. Muhammed b. Muhammed et-Tahir et-Tûnusî. *Tahrîru'l-Ma'na's-Sedîd ve Tenvîru'l-Ma'na'l-Cedîd min Tefsîri'l-Kitabi'l-Mecîd.* Tunus: ed-Dâru't-Tûnusiyye, 1984.

İbn Atiyye el-Endelusî, Ebu Muhammed Abdulhak b. Ğâlib. *el-Muharraru'l-Vecîz fî Tefsîri'l-Kitabi'l-Azîz.* Tahkik: Abdusselam Abduşşâfî Muhammed, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1422.

İbn Kesîr, Ebu'l Fidâ İsmâil b. Ömer. *el-Bidâye ve'n-Nihâye.* Tahrîr: Abdullah Abdulmuhsin et-Türkî, Kahire: Dâr-u Hicr, 1997.

Maturidi, Muhammed b. Muhammed b. Muhammed Ebu Mansur. *Tefsiru'l-Maturidi / Te'vilat-u Ehli's-Sünne.* Tahkik: Mecdî Bâslûm, Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1426/2005.

Maverdî, Ebu'l-Hasan Ali b. Muhammed el-Basrî el-Bağdadî. *en-Nüket ve'l-Uyûn.* Tahkik: Seyyid b. Abdilmaksûd b. Abdirrahim. Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, tsz.

Nuveyrî, Şihabuddin Ahmed b. Abdilvehhab. *Nihayetu'l-İreb fî Funûni'l-Edeb.* Tahkik: Müfîd Kamîha ve dğr. Beyrut: Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, 1424/2004.

Râğıb el-İsfehanî, Ebu'l-Kasım el-Hüseyin b. Muhammed. *el-Müfredât fî Ğâribi'l-Kur'an.* Beyrut: Dâru'l-Ma'rife, tsz.

Râğıb el-İsfehanî, el-Hüseyin b. Muhammed b. Mufaddal. *Mukaddimetu Câmi'i't-Tefsîr.* Tahîk: Ahmet Ferhat, Kuveyt: Dâru'd-Da've, 1405/1984.

Râzî, Ebu Abdillah b. Muhammed b. Hasan b. Hüseyin. *Mefatîhu'l-Gayb.* Beyrut: Dâru İhyâi't-Türâsi'l-Arabî, 1420/1999.

Suyutî, Celaluddin Abdurrahman b. Ebi Bekr. *el-İtkân fî Ulûmi'l-Kur'an.* Tahkik: Muhammed Ebu'l-Fadl İbrahim, Mısır: el-Hey'etu'l-Mısriyyetu'l-Amme li'l-Kitab, 1394/1974.

Taberî, Muhammed b. Cerîr el-Âmilî Ebu Ca'fer. *Câmiu'l-Beyân fî Te'vîli'l-Kur'an.* Tahkik: Ahmed Muhammed Şakir, Beyrut: Muessesetu'r-Risâle, 1420/2000.

Zemahşerî, Ebu'l-Kasım Mahmud b. Amr b. Ahmed. *el-Keşşâf ʿan Haḳa'iḳ-i Ğavâmidi't-Tenzîl ve ʿUyûni'l-Eḳāvîl fî Vücûhi't-Te'vîl.* Beyrut: Dâru'l-Kitabi'l-Arabî, 1407.

Zuhaylî, Vehbe b. Mustafa. *et-Tefsîru'l-Munîr fi'l-Akîde ve'ş-Şerî'a ve'l-Menhec.* Dımeşk/Şam: Dâru'l-Fikri'l-Muasır, 1418.